3756

سلسلة قصص مشرقية

حُكمُ القدر

زكريّا كايا

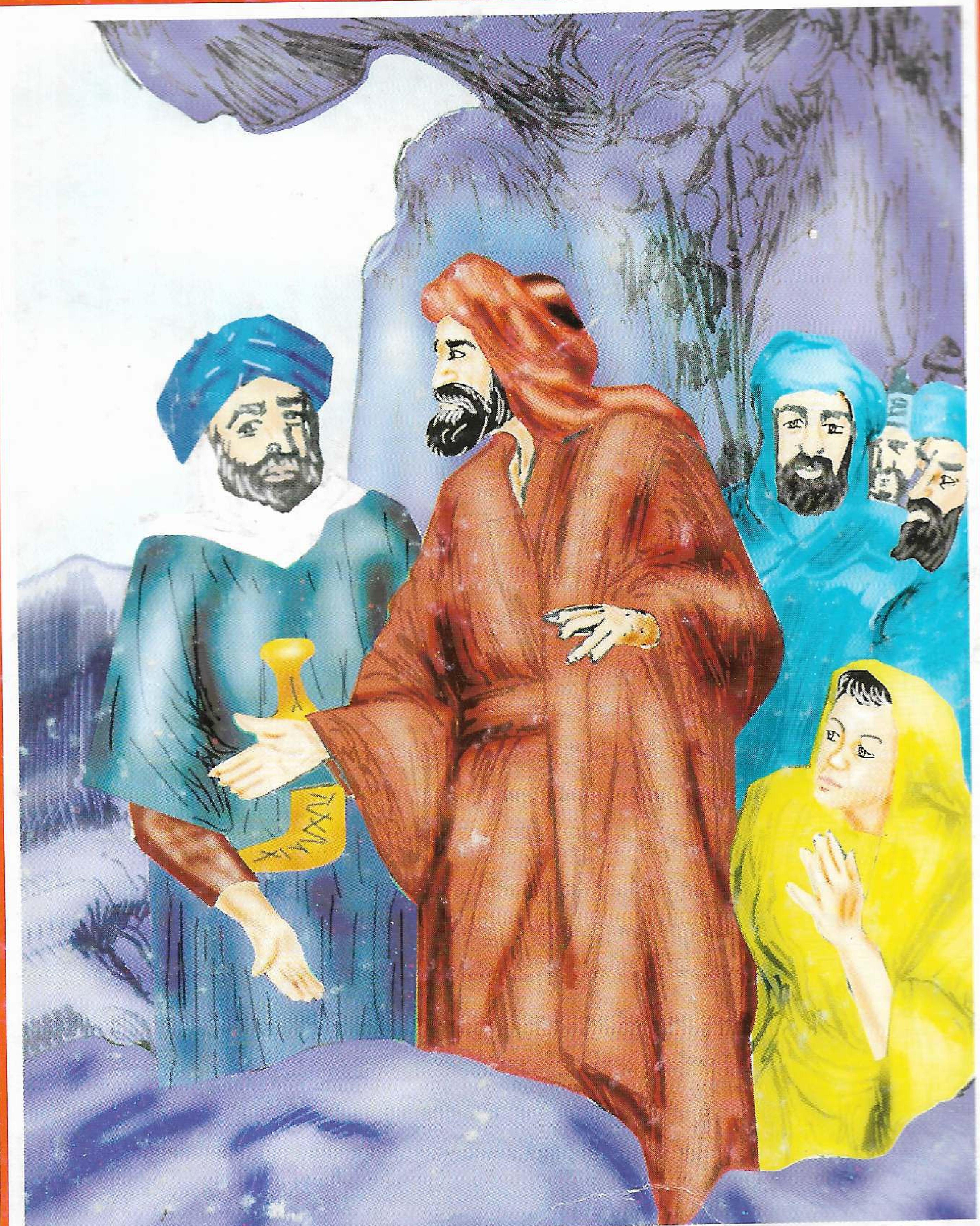

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

3756
1497

وزارة الثقافة * المديرية ... المطالعة العمومية

حُكْمُ الْقَدَرِ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ ، كَانَ يَعِيشُ فِي مَدِينَةِ آمِدَ « دِيَارِ بَكْـرٍ » قَاضٍ ، اشْتُهِرَ بِسُمُـوِّ النَّفْسِ وَالأَرْيَحِيَّةِ وَقَدْ كَانَ شَـدِيدَ التَّعَلُّقِ بِالْعَدْلِ فِي أَحْكَامِهِ فَكَـانَ لاَ يُصْدِرُ أَيَّ حُكْمٍ فِي أَيَّـةِ قَضِيَّةٍ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يُشْبِعَهَا دَرْساً ، وَكَثِيراً مِنَ الأَحْيَانِ كَانَ يَتَحَرَّىٰ بِنَفْسِهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَيَبْذُلُ جُهُـوداً إِضَافِيَّـةً تُكَلِّفُهُ عَنَـاءً وَمَشَقَّةً . وَكَـانَ مِثَالاً لِلاِسْتِقَامَـةِ فَطَبَّقَتْ شُهْـرَتُهُ الآفَـاقَ وَصَارَ الْقُضَـاةُ الْقَـاصِي مِنْهُمْ وَالدَّانِي يَتَوَاتَرُونَ أَخْبَارَهُ وَنَوَادِرَهُ فَيَأْخُذُونَ عَنْهُ فِي أَحْكَامِهِمْ .

وَكَانَتْ لِهٰذَا الْقَاضِي مِيزَةٌ أُخْرَىٰ حَمِيدَةٌ ، فَقَدْ كَانَ شَهْمـاً وَكَرِيماً ، يُحْسِنُ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ يَقْصِدُهُ ، فَيَقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ ، وَكَانَ فِي مُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ لاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ غَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ وَلاَ بَيْنَ وَضِيعِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ ، وَكَانَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ رَائِدَهُ فِي حَيَاتِهِ .

وَكَانَ الْقَاضِي يَعِيشُ سَعِيداً فِي حَيَاتِهِ ، وَقَدْ أَوْسَعَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الثَّرَاءِ وَأَغْدَقَ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ فَتَمَرَّغَ فِي بَحْبُوحَـةِ رَغَدِ الْعَيْشِ وَهَنَائِهِ .

وَكَـانَ يَعْمَـلُ فِي خِـدْمَـةِ الْقَـاضِي حَشْـدٌ مِنَ الْخَـدَمِ فِي

جُمْلَتِهِمْ رَجُلٌ فَقِيرٌ قَصَدَهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَاسْتَرْحَمَهُ مُسْتَعْطِفاً طَالِباً إِنْقَاذَهُ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ اللَّذَيْنِ يَتَهَدَّدَانِهِ ، فَأَلْحَقَهُ فِي خِدْمَتِهِ هُوَ وَعَائِلَتَهُ وَأَحْسَنَ مُعَامَلَتَهُ فَنَعِمَ الرَّجُلُ بِالأَمَانِ فِي كَنَفِهِ .

وَكَانَ لِهٰذَا الرَّجُلِ صَبِيٌّ بَهِيُّ الطَّلْعَةِ وَقَعَ مِنْ نَفْسِ الْقَاضِي أَحْسَنَ مَوْقِعٍ ، فَاعْتَادَ الْقَاضِي بَعْدَمَا يَفْرَغُ مِنْ طَعَامِهِ وَقَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ إِلَىٰ الْقَيْلُولَةِ لِيَنَالَ قِسْطاً مِنَ الرَّاحَةِ أَنْ يُرْسِلَ فِي طَلَبِ هٰذَا الصَّبِيِّ فَيُجْلِسُهُ عَلَىٰ رُكْبَتِهِ وَيُلاعِبُهُ وَيُدَلِّلُهُ وَيُغَنِّي لَهُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَى أَهْلِهِ وَيَمْضِي إِلَىٰ مَخْدَعِهِ وَيَسْتَسْلِمَ لِلرُّقَادِ .

جَرَتِ الأُمُورُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ سِنِينَ غَيْرَ قَلِيلَةٍ حَتَّى كَانَ يَوْمٌ اضْطَرَبَ فِيهِ الأَمْنُ فِي الْمَدِينَةِ ، إِذْ نَزَلَ الْجَبَلِيُّونَ ، وَهُمْ قَوْمٌ قُسَاةٌ شَرِسُونَ مُتَوَحِّشُونَ ، وَاقْتَحَمُوا الْمَدِينَةَ وَعَاثُوا فِيهَا فَسَاداً وَرَاحُوا يُطَارِدُونَ سُكَّانَ آمِدَ فِي الشَّوَارِعِ وَالأَزِقَّةِ وَيَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ نَهَبُوا دُورَهُمْ وَسَلَبُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَأَرْكَنَ الآمِدِيُّونَ إِلَىٰ الْفِرَارِ لِلنَّجَاةِ بِأَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي دَهَمَتْهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَىٰ دَفْعِهَا .

وَكَانَ الْقَاضِي فِي جُمْلَةِ مَنْ هَرَبُوا ، فَالْتَجَأَ إِلَىٰ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي الْمَوْصِلِ هُوَ وَعَائِلَتُهُ وَمَكَثَ فِي ضِيَافَتِهِ شُهُوراً حَتَّىٰ طُرِدَ الْجَبَلِيُّونَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَاسْتَتَبَّ الأَمْنُ فَعَادَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ إِلَىٰ آمِدَ وَأَصْلَحُوا مَا خُرِّبَ ، وَزَاوَلَ عَمَلَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ وَكَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَحْدُثْ .

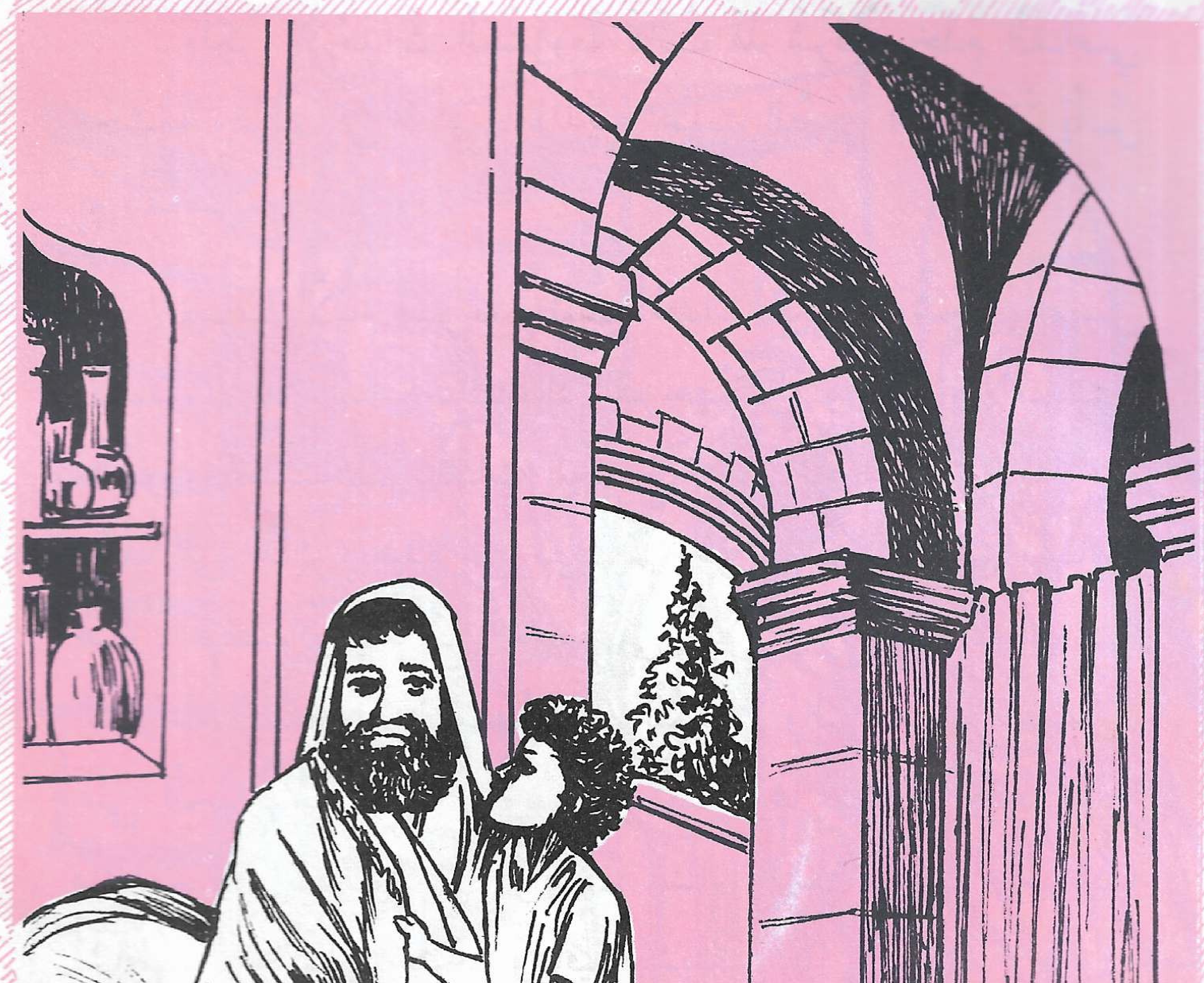

وَلٰكِنَّ الأَحْدَاثَ الْمَشْؤُومَةَ كَانَتْ قَدْ شَرَّدَتْ خَدَمَ الْقَاضِي وَحَشَمَهُ وَغَيَّبَتْ فِي غَيَاهِبِهَا فِي مَنْ غَيَّبَتِ الصَّبِيَّ الَّذِي كَانَ يَأْنَسُ بِهِ الْقَاضِي .

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ مُسْرِعَةً وَطَوَتْ أَحْدَاثَ الْكَارِثَةِ وَشُجُونَهَا وَنَسِيَ الآمِدِيُّونَ مَآسِيَهَا فَعَادُوا إِلَىٰ مَرَحِهِمْ وَلَهْوِهِمْ . وَالآمِدِيُّونَ مَشْهُورُونَ بِتَمَسُّكِهِمْ بِعَادَاتِ الْخُرُوجِ عَلَىٰ الْحَرَّاقَاتِ فِي مِيَاهِ نَهْرِ دِجْلَةَ إِلَىٰ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ عَنْ مَدِينَتِهِمْ وَمِنْ ثَمَّ نُزُولِهِمْ فِي بَسَاتِينَ غَنَّاءَ ، فَيَقْضُونَ أَيَّاماً مَعَ أُسَرِهِمْ فِي أُنْسٍ وَمَرَحٍ ، يَتَنَاوَلُونَ فِيهَا الشَّرَابَ وَيَصْطَحِبُونَ مَعَهُمْ فِرَقَ الْمُغَنِّينَ وَالرَّاقِصَاتِ فَيُضْفُونَ عَلَىٰ الْجَوِّ بَهْجَةً وَطَرَباً ، وَيَسْتَغْرِقُونَ أُسْبُوعاً قَبْلَ أَنْ يَعُودُوا إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ نَفَضُوا عَنْ كَوَاهِلِهِمْ عَنَاءَ الْعَمَلِ وَتَعَبِهِ وَاسْتَعَادُوا نَشَاطَهُمْ ، وَاكْتَسَبُوا صِحَّةً وَعَافِيَةً جَدِيدَتَيْنِ .

وَقَدِ اعْتَادَتْ عِلْيَةُ الْقَوْمِ أَنْ تُطْلِقَ لِنِسَائِهَا الْعِنَانَ فِي التَّبَرُّجِ وَالزِّينَةِ بِأَغْلَى الْحِلِيِّ وَأَزْهَى الثِّيَابِ ، وَكَانَ النِّسْوَةُ يَتَنَافَسْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ أَيُّهُنَّ تَفُوقُ صُوَيْحِبَاتِهَا ثَرَاءً وَجَمَالاً .

وَكَانَ الْقَاضِي لَا يُفَوِّتُ هٰذِهِ الْمُنَاسَبَةَ أَبَداً ، فَقَدْ كَانَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَبَنَاتُهُ يَسْتَعِدُّونَ لَهَا طَوَالَ الْعَامِ فَيَسْعَىٰ جُهْدَهُ كَيْ يَحْصَلَ عَلَىٰ أَثْمَنِ الْحِلِيِّ وَأَفْضَلِهَا صَنْعَةً كَمَا كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَسْعَى لِأَنْ تَحْصَلَ عَلَىٰ أَفْضَلِ الثِّيَابِ وَأَكْثَرِهَا غِنًى وَجَمَالاً ، طَمَعاً فِي نَيْلِ إِعْجَابِ الْمُسْتَجِمِّينَ مِنْ أَثْرِيَاءِ مَدِينَةِ آمِدَ .

وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ نَيْسَانَ وَهُوَ مَوْعِدُ الْخُرُوجِ إِلَىٰ شَمِّ

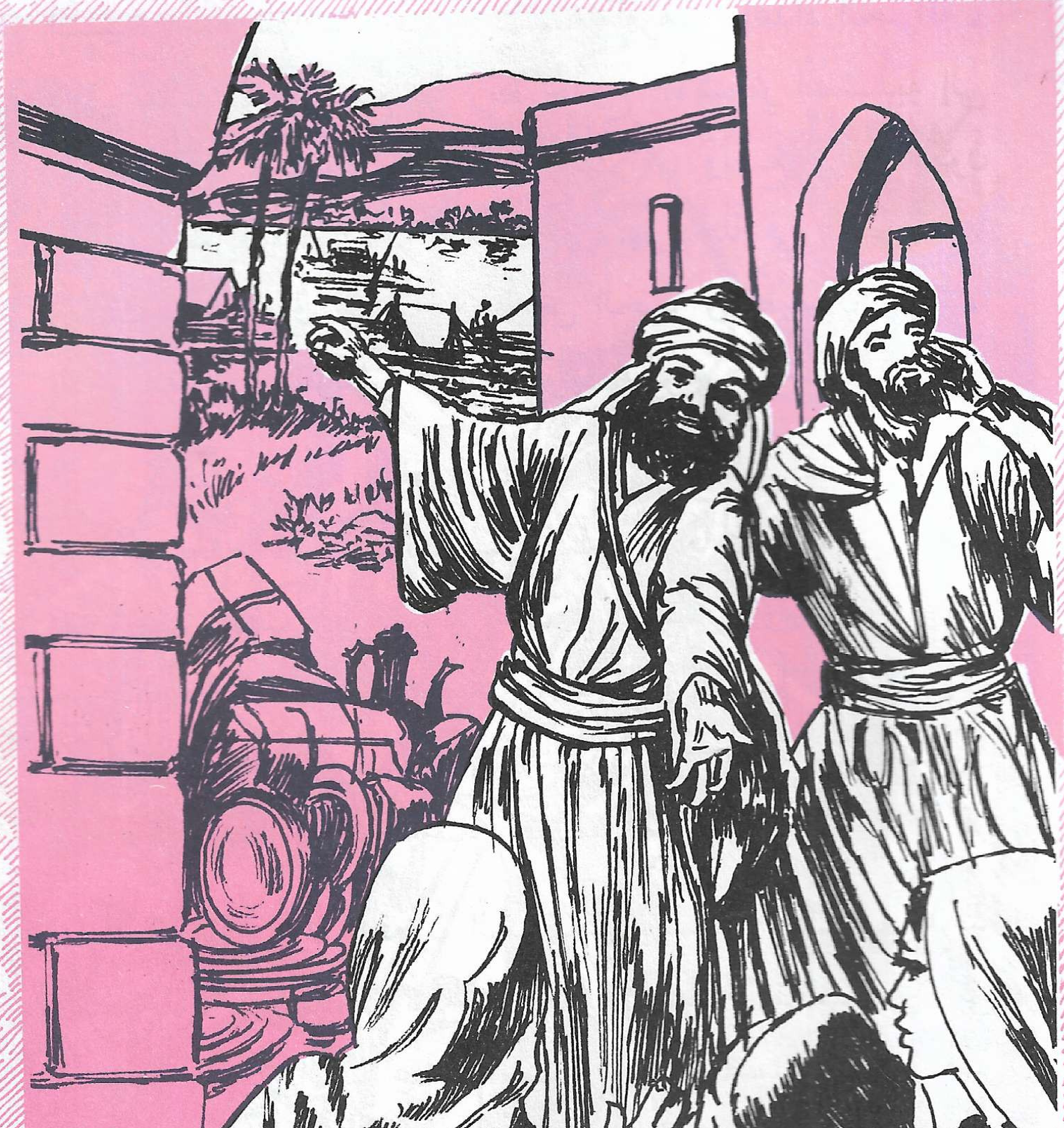

النَّسيمِ اخْتارَ الْقاضِي خَدَمَهُ بِنَفْسِهِ وَأَمَرَهُمْ بِإِعْدادِ الْحَرّاقَةِ ، وَهِيَ سَفِينَةٌ نَهْرِيَّةٌ تُصْنَعُ مِنْ رَبْطِ جُذُوعِ الأَشْجارِ الْمُشَذَّبَةِ إِلَىٰ بَعْضِها وَتُمْلأُ قِرَباً جِلْدِيَّةً مَنْفُوخَةً بِالْهَواءِ ، وَبالَغَ في أَنْ تَكُونَ حَرّاقَتُهُ أَجْمَلَ وَأَفْضَلَ حَرّاقَةٍ تَنْزِلُ إِلَىٰ نَهْرِ دِجْلَةَ في الْمَوْسِمِ ، وَلِذٰلِكَ نَصَبَ فَوْقَ حَرّاقَتِهِ خَيْمَةً مِنَ الْحَريرِ وَالطَّيْلَسانِ وَفَرَشَها بِفاخِرِ الْقُماشِ وَالرِّياشِ وَزَرَعَ حَوْلَها الْحُرّاسَ الأَشِدّاءَ .

كانَتْ حَرّاقَةُ الْقاضِي سَبّاقَةً في اسْتِعْداداتِها لِلرِّحْلَةِ ثُمَّ تَقاطَرَتْ بَعْدَها حَرّاقاتُ الصُّحْبَةِ فَأَقْبَلَتْ زُرافاتٍ وَوُحْداناً ، مِنْها مَنْ أَحْضَرَ آلاتِ الطَّرَبِ وَالرّاقِصينَ وَالرّاقِصاتِ وَمِنْها مَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ الطَّعامِ وَالشَّرابِ ، وَلٰكِنَّ الْحَرّاقاتِ جَميعاً كانَتْ مُزَيَّنَةً بِالْفَوانيسِ وَالشَّرائِطِ الْمُلَوَّنَةِ ، وَعِنْدَما اكْتَمَلَ عِقْدُها انْسابَتْ فَوْقَ مِياهِ دِجْلَةَ وَسْطَ أَهازيجَ وَغِناءٍ رافَقَهُما الْمُوسيقَىٰ .

كانَ النُّوتِيُّونَ يَدْفَعُونَ الْحَرّاقاتِ بِوَساطَةِ مَجاديفَ طَويلَةِ السَّواعِدِ ، وَيَجْهَدُونَ كَيْ يُجَنِّبُوها الاصْطِدامَ بِالصُّخُورِ الَّتي تَعْتَرِضُ مَجْرَى النَّهْرِ عِنْدَما يَضيقُ بِالنَّهْرِ الضِّفَتانِ وَهِيَ تَعْبُرُ الْمَمَرّاتِ الْجَبَلِيَّةَ الضَّيِّقَةَ ، وَكانُوا يُحافِظُونَ بِشِقِّ الأَنْفُسِ عَلَىٰ سُرْعَةِ الْحَرّاقاتِ عِنْدَما يَنْحَدِرُ بِها الْمَجْرَىٰ سَريعاً ، وَكَذٰلِكَ يَجْهَدُونَ لِدَفْعِ الْحَرّاقاتِ عِنْدَما يَتَباطَأُ مَجْرَىٰ الْمِياهِ .

كانَ الْقاضِي وَأَصْحابُهُ يَتَسامَرُونَ وَيَقْضُونَ أَمْتَعَ السّاعاتِ وَهُمْ يَتَبادَلُونَ الأَقاصيصَ وَطَرائِفَ النَّوادِرِ بَعْدَما يَفْرَغُ الْمُغَنُّونَ وَالْمُطْرِبُونَ مِنْ عَزْفِ أَلْحانِهِمِ الْمُبْهِجَةِ .

وَابْتَعَدَتِ الْحَرَّاقَاتُ عَنْ آمِدَ مَسَافَةً بَعِيدَةً وَصَارَتْ عِنْدَ مَشَارِفِ جَزِيرَةِ آبْنِ عُمَرَ وَكَانَ الْقَوْمُ مُسْتَغْرِقِينَ فِي لَهْوِهِمْ هُمْ وَأَفْرَادُ عَائِلَاتِهِمْ وَفَجْأَةً ظَهَرَ أَمَامَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ قُطَّاعِ الطُّرُقِ وَبِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ طَوَّقُوا الْحَرَّاقَاتِ وَقَفَزَ اللُّصُوصُ كَالشَّيَاطِينِ عَلَىٰ مُتُونِهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنُوا مِنَ الْحُرَّاسِ وَالْمُدَافِعِينَ عَنْهَا وَأَوْثَقُوهُمْ بِالْحِبَالِ .

قَادَ اللُّصُوصُ الْحَرَّاقَاتِ إِلَى ضِفَّةٍ صَخْرِيَّةٍ وَتَحْتَ تَهْدِيدِ السِّلَاحِ نَهَبُوا مُحْتَوَيَاتِهَا مِنْ أَمْوَالٍ وَمَتَاعٍ وَسَطَوْا عَلَى الْحُلِيِّ الَّتِي كَانَتْ تَتَزَيَّنُ بِهَا النِّسَاءُ ثُمَّ شَدُّوا وِثَاقَ جَمِيعِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَسَاقُوهُمْ عَبْرَ غَابَةٍ كَثِيرَةِ الشَّجَرِ إِلَى مَدْخَلِ كَهْفٍ يَقَعُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ عَالٍ .

عَقَدَتِ الدَّهْشَةُ لِسَانَ الْقَاضِي وَصَحْبِهِ ، وَلَمْ تُمْهِلْهُمُ الْمُفَاجَأَةُ السَّرِيعَةُ مُقَاوَمَةَ مَا جَرَىٰ ، وَعِنْدَمَا صَارُوا فِي فِنَاءِ الْكَهْفِ شِبْهَ عُرَاةٍ ، وَانْشَغَلَ اللُّصُوصُ فِي نَقْلِ مَا فَازُوا بِهِ مِنْ أَسْلَابٍ ، هَتَفَ الْقَاضِي وَقَدْ تَمَالَكَ نَفْسَهُ وَقَالَ :

- اَلْخَطْبُ جَلَلٌ أَيُّهَا الْأُخْوَانُ ، تَلْزَمُنَا الْحِنْكَةُ وَالشَّجَاعَةُ لِلْخَلَاصِ مِنْ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ فَتَمَالَكُوا أَنْفُسَكُمْ وَاتَّكِلُوا عَلَى اللهِ وَدَعُوا الْأَمْرَ بَيْنَ يَدَيَّ لِأَرَىٰ مَا أَفْعَلُ لِنَنْجُوَ جَمِيعاً سَالِمِينَ !

الْتَفَتَ زَعِيمُ الْمَجْمُوعَةِ إِلَى الْقَاضِي وَقَدْ أَغْضَبَتْهُ جُرْأَتُهُ فَنَهَرَهُ وَقَالَ :

- لَوْ كَانَ الأَمْرُ بِيَدِي لَقَتَلْتُكُمْ جَمِيعاً وَجَعَلْتُ جُثَثَكُمْ طَعَاماً لِوُحُوشِ الْبَرِّ وَلٰكِنَّ مِثْلَ هٰذَا الْحَقِّ لاَ يَمْتَلِكُهُ سِوَىٰ الزَّعِيمِ الْكَبِيرِ ، فَاحْذَرْ يَا رَجُلُ ! وَأَقْلِعْ عَنِ الثَّرْثَرَةِ وَإِلاَّ جَلَبْتَ لِنَفْسِكَ مَا لاَ تُحْمَدُ عُقْبَاهُ .

ثُمَّ دَفَعَ زَعِيمُ الْمَجْمُوعَةِ الْقَاضِيَ بِذُبَالَةِ سَيْفِهِ وَأَمَرَ جَمَاعَتَهُ بِسَوْقِهِمْ إِلَىٰ حَضْرَةِ الزَّعِيمِ الْكَبِيرِ ، فَرَاحُوا بِدَوْرِهِمْ يَدْفَعُونَ الأَسْرَى بِأَعْقَابِ الرِّمَاحِ عَبْرَ الدَّهَالِيزِ الْمُظْلِمَةِ ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ بِهِمُ الْمَطَافُ إِلَىٰ بُسْتَانٍ يَقَعُ فِي الْجَانِبِ الآخَرِ مِنَ الْجَبَلِ ، وَحِينَذَاكَ أَمَرَهُمُ اللُّصُوصُ بِالْجُلُوسِ عَلَىٰ الأَرْضِ وَانْتِظَارِ مَا سَوْفَ يُقَرِّرُهُ الزَّعِيمُ الْكَبِيرُ فِي شَأْنِهِمْ .

تَحَمَّلَتْ تِلْكَ النُّخْبَةُ الثَرِيَّةُ مِنْ عِلْيَةِ الْقَوْمِ الأَمَرَّيْنِ ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَعْتَدْ عَلَىٰ شَظَفِ الْعَيْشِ وَالْمُعَانَاةِ لِمَا تَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ رَغَدِ الْعَيْشِ وَهَنَاءَتِهِ فَامْتَقَعَتْ أَلْوَانُهَا وَشَحُبَتْ وَأُنْهِكَتْ قِوَاهَا وَقَدْ تَمَلَّكَهَا الْفَزَعُ وَالْهَلَعُ وَهِيَ تَعْلَمُ بِأَنَّ مَصِيرَهَا أَصْبَحَ بَيْنَ أَيْدِي مُجْرِمِينَ أَفْظَاظٍ وَمُتَوَحِّشِينَ . فَنَدَبَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ حَظَّهُ الْعَاثِرَ وَتَمنَّى أَلاَّ يَكُونَ قَدْ غَادَرَ دَارَهُ وَهُمْ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ أَنَّ الْهَلاَكَ هُوَ مَصِيرُهُمُ الْمَحْتُومُ .

دَوَّى صَوْتُ صَنْجٍ كَبِيرٍ ضَرَبَهُ أَحَدُ الأَشْقِيَاءِ بِعَصاً غَلِيظَةٍ فَسَادَ الصَّمْتُ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ الأَسْرَى الْمَنْكُودِي الْحَظِّ فَرَاحَتْ أَسْنَانُ بَعْضِهِمْ تَصْطَكُّ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ .

بَرَزَ أَمَامَهُمْ شَابٌّ قَاسِي الْقَسَمَاتِ حَادُّ النَّظَرَاتِ مَهِيبُ

الطَّلْعَةِ بَعثَ الرُّعْبَ فِي النُّفُوسِ ، حَتَّىٰ إنَّ قُطَّاعَ الطُّرُقِ الَّذِينَ كَانُوا قُساةً شَرِسِينَ قَبْلَ حِينٍ صَارُوا جُبَنَاءَ صَاغِرِينَ .

كَانَ الزَّعِيمُ الْكَبِيرُ واقِفاً كالطَّوْدِ الشَّامِخِ عَابِساً ، يَجُولُ بِناظِرَيْهِ عَلَىٰ وُجُوهِ رِجَالِهِ وَضَحَايَاهُ وَالْجَمِيعُ سَاكِتٌ وَجَامِدٌ لا يَجْرُؤُونَ عَلَىٰ الْكَلامِ أَوِ الْحَرَكَةِ :

ثَبَّتَ الزَّعِيمُ الْكَبِيرُ الْمُرْعِبُ نَاظِرَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْقَاضِي بَعْدَمَا هَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِدُ الْمَجْمُوعَةِ كَلاماً وَانْسَحَبَ ، وَرَاحَ يُحَدِّقُ مَلِيّاً فِي وَجْهِ الْقَاضِي حَتَّى أَيْقَنَ الْقَاضِي بِأَنَّ كَلامَهُ جَرَّ عَلَيْهِ الْوَبَالَ وَبِأَنَّهُ سَيَكُونُ أَوَّلَ الضَّحَايَا لا مَحَالَةَ ، وَبَذَلَ جُهْداً كَبِيراً حَتَّىٰ يَتَمالَكَ نَفْسَهُ اسْتِعْداداً لِمَا يَحْدُثُ لَهُ .

نَزَلَ الزَّعِيمُ الْكَبِيرُ الْمُرْعِبُ مِن عَلَىٰ الصَّخْرَةِ بِخُطُواتٍ وَئِيدَةٍ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْقَاضِي وَوَقَفَ أَمَامَهُ حَتَّى كَادَ وَجْهُهُ يُلامِسُ وَجْهَ الْقَاضِي فَامْتَقَعَ لَوْنُ الْقَاضِي وَأَيْقَنَ بِأَنَّهُ هَالِكٌ لا مَحَالَةَ فَأَسْلَمَ أَمْرَهُ إِلَىٰ اللهِ .

قَطَعَ الزَّعِيمُ الْكَبِيرُ السُّكُونَ الرَّهِيبَ وَقَالَ لِلْقَاضِي :

- مَنْ أَنْتَ يَا رَجُلُ وَمَا هِيَ صَنْعَتُكَ ؟!

مَارَتِ الأَرْضُ تَحْتَ قَدَمَيِ الْقَاضِي وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ فَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلَىٰ الْكَلامِ لِشِدَّةِ ارْتِعَاشِهِ وَاصْطِكَاكِ أَسْنَانِهِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ . فَأَمْعَنَ الزَّعِيمُ الْكَبِيرُ النَّظَرَ فِي وَجْهِ الْقَاضِي وَحَدَّقَ فِيهِ مَلِيّاً وَأَرْدَفَ قَائِلاً :

- هَلْ أَنْتَ فُلانُ الْقَاضِي ؟

قَرَأَ الْقَاضِي الْفَاتِحَةَ فِي ذَاتِ نَفْسِهِ وَاسْتَعَادَ عَقِبَهَا بَعْضاً مِنْ شَجَاعَتِهِ فَرَدَّ وَقَالَ :

- نَعَمْ أَنَا الْقَاضِي وَبَيْتِي فِي الْحَيِّ الْفُلانِيِّ مِنْ مَدِينَةِ آمِدَ ، وَلَسْتُ أُخْفِي عَنْكَ شَيْئاً وَقَدْ أَسْلَمْتُ أَمْرِي إِلَى خَالِقِي وَلاَ أَخْشَى بَعْدَ الآنَ عَلَىٰ مَصِيرِي !

وَحَدَثَتِ الْمُفَاجَأَةُ الْكُبْرَىٰ عِنْدَمَا انْكَبَّ الزَّعِيمُ ، عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ هَيْبَةٍ مُرْعِبَةٍ كَانَتْ إِلَىٰ حِينٍ تُلْقِي الذُّعْرَ فِي النُّفُوسِ وَتَخْلَعُ الأَلْبَابَ ، انْكَبَّ الزَّعِيمُ عَلَىٰ يَدِ الْقَاضِي يُقَبِّلُهَا بِحَرَارَةٍ وَالدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ غَزِيرَةً وَهُوَ يُدَمْدِمُ بِعِبَارَاتٍ مَشْحُونَةٍ بِعَاطِفَةٍ جَيَّاشَةٍ وَغَامِرَةٍ .

دُهِشَ الْقَاضِي مِنْ تَصَرُّفِ زَعِيمِ قُطَّاعِ الطُّرُقِ الْمُرْعِبِ ، وَلٰكِنَّ الزَّعِيمَ لَمْ يُمْهِلْهُ فُرْصَةً لِلْكَلامِ فَهَتَفَ يَقُولُ :

- أَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا سَيِّدِي !؟ أَنَا فُلانٌ وَأَبِي اسْمُهُ فُلاَنٌ وَقَدْ كُنْتَ تُقْعِدُنِي عَلَىٰ رُكْبَتِكَ كُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَىٰ مَخْدَعِكَ لِلْقَيْلُولَةِ ، فَكَيْفَ أَنْسَىٰ فَضْلَكَ عَلَىٰ أَهْلِي وَعَلَيَّ وَقَدْ كُنْتَ تُهَدْهِدُنِي وَتُغَنِّي لِي وَتُرَنِّمُ أَلْحَاناً مَا زَالَتْ تَطِنُّ فِي أُذُنِي ! أَيُّ قَدَرٍ سَاقَكَ إِلَيَّ وَقَدْ حَسِبْتُ أَنَّكَ هَلَكْتَ فِي زَمَنِ فِتْنَةِ الْجَبَلِيِّينَ ! .

ثُمَّ رَاحَ الزَّعِيمُ يَسْتَعْطِفُ الْقَاضِي وَيَطْلُبُ مِنْهُ السَّمَاحَ

وَيَقُولُ :

- اعْذُرْنِي ! لَقَدِ ارْتَكَبْتُ فِي حَقِّكَ وَحَقِّ أُسْرَتِكَ الإِثْمَ بَلْ الْمَعْصِيَةَ أَمَامَ اللهِ ، مِنِّي الْعُذْرُ وَمِنْكَ السَّمَاحُ .

نَظَرَ الْقَاضِي إِلَىٰ وَجْهِ الزَّعِيمِ وَتَفَرَّسَ فِيهِ وَأَمْعَنَ ، وَقَدْ رُدَّتْ إِلَيْهِ رُوحُهُ فَلَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسَهُ فَانْهَمَرَتْ دُمُوعُهُ وَقَالَ :

- وَمَا الَّذِي رَمَاكَ إِلَىٰ هَذَا يَا بُنَيَّ وَقَدْ كُنْتُ أَتَوَسَّمُ فِيكَ كُلَّ خَيْرٍ!؟

قَالَ الزَّعِيمُ :

- شَاءَ الْقَدَرُ ذٰلِكَ وَ لاَ رَادَّ لِقَضَائِهِ .

ثُمَّ أَخَذَ يَسْرُدُ عَلَىٰ مَسَامِعِ الْقَاضِي الأَحْدَاثَ الَّتِي مَرَّ بِهَا عَقِبَ الْفِتْنَةِ الَّتِي خَرَّبَتْ آمِدَ وَأَهْلَكَتْ أُسْرَتَهُ فَتَشَرَّدَ وَلَحِقَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْفِتْيَانِ نَجَوْا مِثْلَهُ مِنَ الْكَارِثَةِ . وَرَاحَ يَشْرَحُ لِلْقَاضِي الظُّرُوفَ الْقَاسِيَةَ الَّتِي اضْطَرَّتْهُ إِلَىٰ اللُّجُوءِ إِلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ . . .

سَرَتْ مَوْجَةٌ مِنَ الْفَرَحِ عَارِمَةً بَيْنَ الأَسْرَىٰ وَرَاحُوا يَهْزِجُونَ وَيَرْقُصُونَ وَقَدْ أَيْقَنُوا بِأَنَّهُمْ نَجَوْا مِنَ الْمَوْتِ ، وَكَانَتْ دَهْشَةُ رِجَالِ عِصَابَةِ الزَّعِيمِ أَعْظَمَ لِلْمُصَادَفَةِ الْعَجِيبَةِ فَأَطْلَقُوا صَيْحَاتٍ وَقَهْقَهَاتٍ مُنْكَرَةَ النَّبَرَاتِ وَلٰكِنَّهَا بَعَثَتِ السُّرُورَ وَالْبَهْجَةَ فِي نُفُوسِ رِفَاقِ الْقَاضِي وَاخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ فِي مِهْرَجَانٍ .

أَمَرَ الزَّعِيمُ الْكَبِيرُ بِإِعَادَةِ جَمِيعِ مَا سَلَبَهُ رِجَالُهُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ تَكْرِيماً لِلْقَاضِي وَوَفَاءً لَهُ لِكَرِيمِ أَعْمَالِهِ ، ثُمَّ رَافَقَ الْقَاضِيَ

وَأَصْحَابَهُ حَتَّىٰ أَمَّنَهُمْ عَلَىٰ حَرَّاقَاتِهِمْ ثُمَّ وَقَفَ عَلَىٰ الضِّفَةِ مُتَقَدِّماً رِجَالَهُ وَلَوَّحَ بِيَدِهِ مُوَدِّعاً الْقَاضِيَ أَحْسَنَ وَدَاعٍ .

تَابَعَ الْقَاضِي وَصَحْبُهُ رِحْلَتَهُمْ وَقَضَوْا أُسْبُوعاً وَهُمْ يَمْرَحُونَ وَيَبْتَهِجُونَ وَقَدْ أَدْهَشَتْهُمُ الْمُصَادَفَةُ الْعَجِيبَةُ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَىٰ آمِدَ وَهُمْ لا يَنْقَطِعُونَ مِنَ الْحَدِيثِ عَلَىٰ الرِّحْلَةِ وَالْمُصَادَفَةِ الْعَجِيبَةِ وَيَغْمُرُونَ الْقَاضِي بِشُكْرِهِمْ وَيُبَالِغُونَ فِي تَعْدَادِ مَنَاقِبِهِ وَأَخْلاَقِهِ . . .

أسئلة حول النص

١ ـ أجبْ على الأسئلة التاليـة مستوحياً أجوبتهـا من القصـة التي قرأتها:

- ما هما الميزتان اللتان امتاز بهما القاضي؟

....

- ما الذي حدث في مدينة آمد فغيّر حال أهلها؟

....

- هل عاد الأمن والطمأنينة إلى آمد؟

....

- ماذا حلَّ بالقاضي وأصدقائه في أثناء نزهتهم؟

....

- من كان زعيم اللصوص الذين ألقوا القبض عليهم؟

....

- ما هي المفاجأة الكبرى التي حدثت؟

....

- كيف كانت نهاية الرحلة؟

....

٢ ـ ضع الكلمات المناسبة في مكان النقط :

- كان .... للاستقامة .... شهرتُه الآفاقَ .
- عقدت .... لسانَ .... وصحبه .
- لو .... الأمرُ بيدي .... جميعاً .
- .... صوتُ .... كبيرٍ .... أحدُ الأشقياء .
- .... الأرضُ تحت .... القاضي .... فرائصُه .

٣ ـ أعرب الكلمات المميّزة باللون الأسود:

- قطعَ **الزعيمُ** الكبير **السكونَ** .
- أنا **فلانٌ** وأبي **اسمُه** فلانٌ .
- سرتْ **موجةٌ** من **الفرحِ** عارمة .
- كان **شهماً** وكريماً .
- **اضطربَ** فيه **الأمنُ** في المدينة .

٤ ـ اذكر لماذا مُنعت هذه الأسماء الآتية من الصرف :

○ آمِدَ : ....

○ عُمَرَ : ....

○ دِجلَةَ : ....

٥ ـ هاتِ مثنى وجمع كل كلمةٍ من الكلمات الآتية :

الكلمة	المثنى	الجمع
قاضٍ	....	....
فانوسٌ	....	....
مجدافٌ	....	....
طُرْفَةٌ	....	....
فظٌّ	....	....

٦ ـ رتب الكلمات التالية في جملٍ مفيدة:

- بنفسهِ عن يتحرّى كانَ الحقيقةِ.

....

- الآمديونِ إلى فأركنَ للنجاةِ الفِرارِ بأرواحِهم.

....

- النوادرِ يتبادلونَ وهُمْ الأقاصيصَ وطرائفَ.

....

- نقلِ فازوا ما مِنْ بِهِ وانشغلَ في اللصوصُ أسلابِ.

....

- صنعتُك وما يا مَنْ هِيَ أنتَ رجُل؟

....

٧ ـ هاتِ مفرد كل كلمةٍ من الكلمات التالية:

- نوادرُ: .... - طرائِفُ: ....
- أرواحُ: .... - عُراةٌ: ....
- شجونٌ: .... - أسلابٌ: ....

٨ ـ هاتِ مرادفات الكلمات التالية:

○ الخَطْبُ: .... ○ دَمْدَمَ: ....

○ نَهَرَ: .... ○ تَوَسَّمَ: ....

○ تَصْطَكُّ: .... ○ يَهْزَجونَ: ....

٩ ـ ابحث عن معاني هذه الكلمات في [قاموسك] واكتبها أمام كل كلمة:

○ مارَتْ: .... ○ الطَّوْدُ: ....

○ امْتَقَعَ: .... ○ صاغِرونَ: ....

○ الوَبالُ: .... ○ شظفُ: ....

١٠ ـ هل استوعب ذهنُك مغزى القصة، أوجز إذاً ما استوعبته في عباراتٍ قليلة:

....

....

....

١١ - إئتِ (اشتق) بفعل الأمر من الأفعال التالية :

○ عاشَ : .... ○ أوْسَعَ : ....

○ نَهَبَ : .... ○ اسْتَعادَ : ....

○ هَذْهَدَ : .... ○ وَقَى : ....

١٢ ـ من هم أشخاص القصّة ، دوِّنْ أسماءهم وعمل كل منهم :

....

....

....

....

....

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٦٤٨٠ - ١١٣
بيروت - لبنان

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

DAR EL-MANAHEL • BEIRUT – LEBANON

هاتف: ٨١٤٧١٦ - ٨١٤٦٩٧ - ٨١٨٦٠٠ (٠١) • فاكس: ٦٤٤٥٢٨ (٠١) • ص.ب: ٥٦٤٥ / ١٤

TEL.: (01) 814716 - 814697 - 818600 • FAX: (01) 644528 • P.O.BOX: 5645/14

سلسلة قصص مشرقية

الحياة سلسلة من القصص اللامتناهية، التي تحدث لنا وللآخرين. قصص حدثت في الماضي ، وقصص تحدث الآن وأخرى ستحدث في المستقبل .

لكل ما يحدث في هذا العالم معنى ومغزى ، لو تمكّنا من الوصول إليه لأفادنا وساعدنا في أن نجعل قصة حياتنا أفضل وأجمل .. فكل شخصٍ منّا هو بطل في قصة .

صدر من هذه السلسلة:

- حيل الملوك
- الشاهد حجل
- حاجب السلطان
- الزبّاء ملكة الجزيرة
- الأعرابي المتشرد، أميراً
- شهامة الأمير
- كريم بغداد
- حكم القدر
- راهن القوس
- عصا الفتى التغلبي
- شجاعة حامل الأمانة
- امانة تاجر من حلب

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع